الولد مريض منذ أيام وكل ما لدينا من نقود قد تبدد عن آخره على الطبيب والدواء .. واليوم لا بد ان أبذل جهدا مضاعفا لأجمع أكبر قدر ممكن من المال وعسى أن تقع يدى على محفظة متخمة بالأوراق المالية فتحل المشكلة ..

الولد فى حاجة الى دواء جديد كتبه له الطبيب بالامس .. ولكن العين بصيرة واليد قصيرة .. لكن اليوم لن تصبح يدى قصيرة .. سأمدها على قدر ما استطيع .. ساضعها فى كل بيت وان استطعت أن أسرق الكحل من عيون النساء فسوف أسرق .

هكذا كان «جمعه» يتحدث الى نفسه وهو يغادر بيته فى الحارة السد الضيقة. وجمعه رجل ليست له مهنة يعيش منها ولكنه يمارس النشل ، وهو متزوج ولم ينجب سوى ولو واحد يحبه الحب كله. وقد ضبط مرارا ودخل السجن ، وكان ما أن يغادر السجن حتى يعود اليه من جديد ، وهو يغادر بيته كل صباح زاعما لجيرانه أنه ذاهب الى عمله باحدى الشركات ، ويروح يمارس النشل فى السيارات العامة ، وكان يعود أحيانا من جولته خالى الوفاض يحمل محفظة خاوية أو قلم حبر زهيد الثمن .. وأحيانا يلازمه التوفيق فيعود وفى جيبه بضعة جنيهات ...

كان اليوم من أيام الشتاء الباردة .. وخلف جمعه الحى الشعبى الذى يسكنه وراءه . وهو لاينقطع عن التفكير فى ابنه الوحيد الذى يحبه الحب كله .. والذى تركه فى البيت مريضا بمرض خطير هو الدفتريا ..

وانطلق متحفزا ليبدأ جولته اليومية.

وسرعان ماطوته طرقات القاهرة المزدحمة ..

وفى الحارة السد الضيقة ، وفى الحجرة الصغيرة كانت «أم عبده» زوجة جمعه تقف الى جانب طفلها المريض الذى يلتقط أنفاسه بصعوبة وجهد .. وفجأة رأت وجهه يمتقع وأنفاسه تخفت ورأسه تميل .. فأصيبت المرأة بذعر شديد ، وحملت الطفل وجرت به الى الطبيب الذى لايبعد كثيرا عن البيت .

وأسعفه الطبيب .. أعطاه حقنة وبصع نقط من دواء ردت اليه أنفاسه الخافتة . وكتب له دواء جديدا .. وطلب اليها أن تبادر باحضاره .

وعادت بالطفل الى البيت .. ووضعته على الفراش .. ووقفت الى جانبه حائرة لاتدرى ماذا تفعل ، فان القروش القليلة التى تملكها لاتكفى لشراء الدواء .

وطلبت من جاراتها من سكان البيت

أن يقرضنها بعض النقود ريثما يعود زوجها لتشترى الدواء للطفل المريض ، ولكنهن اعتذرن ، فلم يكن يملكن نقودا

وقصـــدت صيدلية الحى وسألت الصيدلى أن يعطيها الدواء ، فاذا عـــاد زوجها من العمل جاءت له بالنقود .. ولكنه لم يجـــد الدواء المطـــلوب فى صيدليته .

وبينما هى عائدة الى بيتها وهى تكاد تبكى من الغيظ والقهر وقع بصرها على جارهم السيد احمد ، وهو رجل طيب ثرى يسكن فى نفس الشارع ، وله فى الحى اكثر من بيت ، وهو كثيرا مايقدم الخدمات لجيرانه ويعطف عليهم ويساعدهم فى الملمات .

وتقدمت منه وجلة .. وحيته .. ثم قالت له فى صوت مرتجف وفى عيونها دموع وهى تعرض أمام عينيـــه تذكرة الطبيب .

ـ هل تتكرم ياسيدى جزاك الله كل خير وتحضر لى هذا الدواء من احـــدى الصيدليات.. فانه غير موجود بصيدلية الحى وابنى مريض بالدفتريا وكان من لحظات يعانى من اختناق شديد ولو لم اسارع بحمله الى الطبيب لمات لساعته. وهو فى حاجة شديدة اليـــه الآن وابوه لا يعود عادة الا فى المساء . وحين يعود سأرد لك ثمنه .

تطلع الرجـــل الى المرأة المضطربة الدامعة العينين فى اشفاق ثم تناول منها تذكرة الطبيب وقال لها فى رقة وعطف:

ـ سأحضر لك الدواء .. فلا تحملى هم شىء .. نحن جيران واعتبريه هدية منى ..

نظرت اليه المرأة فى اكبار.. واشرق وجهها الحزين ، وأخذت تدعو له بالصحة وطول البقاء .

ومضى الرجل ليركب الاتوبيس قاصدا احدى الصيدليات الكبرى .

وكان الاتوبيس مزدحما كالعادة .. مشحونا كأنه علبة سردين .. أناس يركبون .. واناس يهبطون .. ومن احدى المحطات قفـز اليه « جمعة » النشال ...

واندس جمعة بين الركاب .. وهو يختلس اليهم النظر، ويفحصهم بنظراته منقبا بينهم عن صيد ثمين .. وفجأة وقع بصره على صيد ثمين .. وفجأة الافندى الثرى الطيب .. يالله من صيد ثمين .

وقال جمعه لنفســـه وقد اهتز من فرط النشوة .

ـ لكنه جارى .. وقد أوصى النبى على سابع جار . .لكنه ثرى جدا . . ولن يضيره أن يفقد محفظة بها بضعة جنيهات . .والولد مريض جدا . . ونحن فى حاجة الى نقود .. وهو قطعا ليس فى حاجة الى النقود التى فى جيبه ولن يخسر كثيرا لو نقلت المحفظة من جيبه الى جيبى ، فهو يملك مالا كثيرا، أما انا فليس لى مورد للرزق .

وفى لحظة كلمح البصر نقل محفظة السيد احمد الى جيبه .. ثم سرعـان ماغادر العربة فى هدوء كأنه الطيف .

وعندما قدم الســـيد احمد تذكرة الطبيب الى الصيدلى واحضر له الرجل الدواء مد يده يتناول محفظته فاكتشف فقدها ، فاعتذر للرجل وغادر الصيدلية وهو يشعر بالحرج .

وراح يبحث فى جيوبه عن نقود للعودة ، فعثر فى جيب الجاكتة الصغير الذى يضع فيه النقود الصغيرة ببضعة قروش تكفيه للعودة .. لكنه وقف فى مكانه مترددا .. وبدت أمام عينيه صورة المرأة الممتقعة الدامعة العينين .. كيف يعود فارغ اليدين بدون الدواء والطفل فى حالة خطرة .. وحتى لو عاد الى البيت ليأتى بنقود فسوف يمر وقت طويل ، وقد يمر الطفل بأزمة اخرى ويموت .

وأخذ يشحذ ذهنه ليصل الى حل .. وفجأة تذكر صاحب صيدلية يعرفه من قديم .

ـ أجل .. الخواجه يوسف .. رجل طيب .. سأذهب اليه واحضر الدواء وفى الغد أحمل اليه الثمن ...

وعاد الى الحى يحمل الدواء الى الطفل المريض .. وذهب بنفسه فقدمه لامه ، واطمأن على حالة الطفل .

وبكت «أم عبده» وهى تدعوله بالستر وطول العمر .. ثم مضى الى بيته وهو يشعر براحة عميقة .

وأقبل المساء ..

وفى الحجرة الصغيرة أضاءت الام «اللمبة نمرة خمسة» واحكمت اغلاق النوافذ الخشبية ، فقد كان البرد شديدا وكانت الرياح تعصف فى الخارج . وتنفذ الى داخل الحجرة من خلال شقوق النوافذ .

ووقفت الى جوار طفلها باسمة الوجه سعيدة ، فقد تحسنت حالته كثيرا . واصبح يتنفس تنفسا هادئا منتظما ، ورد ت الدماء الى وجهه الشاحب الممتقع .

ودخل زوجها عائدا من جولته باسم مشرق الوجه فقد وفق كثيرا فى يومه . واقترب من الفراش يتطلع الى ابنه . وهو يسألها عن حالته ...

وقصت عليه ما حدث .

وابتسم الرجل .. ثم أخذ يضحك ، وقال لها وهو لاينقطع عن الضحك :

ـ تصورى .. لقد نشلت السيد احمد بينما هو ذاهب ليحضر الدواء لابنى

وقالت المرأة وقد تملكتها الدهشة :

ـ ولكنه رغم هذا أحضر لى الدواء بنفسه واطمأن على الطفل .

كانت المرأة واقفة شبه ذاهلة وهى تردد فى صوت خافت : «ياله من رجل كله الخير والمروءة» .

وكانت الرياح تهب فى الخارج . وتنفذ الى داخل الحجرة من خلال شقوق النوافذ ، وتعبث بضوء «اللمبة» عبثا شديدا .. ولكن « اللمبة » لم تنطفىء رغم هبوب الرياح .. !

وظلت المرأة جامدة فى مكانها تفكر فى الخير الذى فعله السيد احمد من أجل طفلها .. والذى يفعله دائما من أجل جيرانه .

واعتزمت أمرا ..

وفى الصباح فوجىء السيد احمد بحافظة نقوده كاملة فى صندوق البوستة .. !

أما جمعه فقد هزه الحادث كثيرا . وأصبح يشكر أكثر من مرة قبل أن يلتقط حافظة نقود .. ان يد طفله المريض تتسلل الى يده تشلها قبل أن تمتد الى جيب الضحية .

ولاول مرة فى حياته فكر فى ان يكتسب عيشه عن طريق شريف .. وكان الله معه ...

فقد وفق فى أن يعمل فراشا فى صيدلية الحى التى تقع على ناصية الشارع .. حقا .. ان الشعلة لم تنطفىء رغم هبوب الرياح .